جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة ماستر أكاديمي

ميدان: علوم اجتماعية

شعبة: فلسفة

تخصص: فلسفة عامة

نقد الفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن

إعداد الطالبة: دعاء بن طرية

المشرف: د. برابح عمر

نوقشت علنا يوم: 10/ 6/ 2024.

بحضور اللجنة المكونة من:

اسم والقب الأستاذ	الرتبة	المؤسسة الاصلية	الصفة
د. طاهير رياض	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	رئيسا
د. عمر برابح	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مشرفا
د. محمد صديق بن عزالة	أستاذ محاضر ب	جامعة ورقلة	مناقشا

الموسم الجامعي:

2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

اهدي بكل حب تخرجي إلى من تعجز كل الكلمات عن وصفها الى التي كانت النور في عتمتي الى التي كان دعاؤها سر نجاحي الى المضحية من أجلي ورافقتني في كل اوقاتي إلى التي تعتب بدون مقابل واتمام مسيرتي الدراسية الى معلمتي وسيدتي العظمية {أمي الغالية} متعها الله بالصحة والعافية.

الذي ساندني بكل حب في ضعفي الدي اجرج أجمل ما في داخلي وشجعني دائما للوصول الى طموحاتي إلى من انتظر هده اللحظات ليفتخر بي مسندي الضوء الدي ينير حياتي إلى {أبي الغالي}

إلى تؤام روحي وسندي وضلعي الذي لا يميل وقدوتي {أخي الحنون} أدامه الله لي

رفيقات الدرب اللاتي كان لهن أثر بالغ في تحدي الصعاب{أخواتي} حفظهن الله

إلى من أحمل معه أجمل الذكريات الطيبة وأبهاها، رعاه الله إلى كل الأهل والأقارب وكل من رفع يده للدعاء لي بظهر غيب.

إلى من قاسمني حلو الأيام ومرها طيلة مشواري{صديقاتي}، وفقهن الله.

إن قلت شكرا فشكري لن يوفيكم حقكم، وإن جف حبري عن التعبير يكتبكم قلب به صفاء الحب تعبيرا.

دعاء.

شكر وعرفان:

الحمد لله حبا شكرا وامتنانا على البدء والختام. الحمد لله والشكر له لما وفقني إليه لإتمام هذا العمل وبقدرته سبحانه تجاوزت عديد الصعوبات والعقبات

بداية...

كل الشكر والتقدير الأستاذ الدكتور المشرف {برابح عمر} الدي لم يبخل على بالنصيحة والإرشاد

وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة جامعة قاصدي مرباح _ ورقلة_ الذين غمروني بالمودة والاحترام والتوجيه*فلكم مني جزيل الشكر والمودة *

سدد الله وجزآكم الله عنا كل خير

مقدمة

عرف نمط التفلسف الغربي جدلا دائما حول أسسه وأهميته وطبيعة موضوعاته وإمكانية استنساخه في سياقات إبستيمية أخرى بوصفه نموذج فكري انبثق في شروط معرفية تاريخية معينة فظهرت توجهات وفلسفات فكرية نقدية متباينة قدمت مقاربات تفسيرية متمايزة حول ضرورته في سياقه الحداثي وقد تلقى الفكر العربي هدا الجدل الدي تأتى عنه طروحات ما بين العودة إلى التراث لتأصيل حداثة في سياق فلسفي عربي بشروط من ذات البيئة الثقافية ،أو استنساخ المشروع الحداثي باعتماد على الأدوات الفكرية والمناهج المعرفية الغربية لتحقيق نهضة محايثة للفكر الحداثي الغربي، بحيث اهتم طه عبد الرحمن مند القرن العشرين بسؤال الفلسفة والتراث، والتحرر الفكري ،العقلانية والدين والقيم ولانسان، وسؤال الحوار الثقافي والفلسفي مع الفكر الغربي باعتبار احد ركائز تجديد الفكر العربي المعاصر لاسلامي، وفي لاطار لاجتهاده في فلسفة الدين والاخلاق، استناد الى التجديد علم الكلام بناء لفسفة تناطرية تبحث عن الحكمة الاخلاقية،لامداد الفكر العربي لاسلامي المعاصر بشرائط التحرير والتنوير وتاسيس لحداثة الاسلامية .ولقد ركز طه عبد الرحمن على التصور الفلسفي المتطلع للنهضة والتقدم بالثقافة العربية الاسلامية على رؤية معرفية وقيمة جديدة تجدد النظر في مفهوم الفلسفة ومفهوم الاخلاق،على تصور نقدي جدلي يتعلق المستوى الاول بنقد ازمة العالم المعاصر,مازق الحداثة الغربية ،التى افرزت تحولات عميقة وتحديات فكرية وعقدية وتقافية نجم عنها اخلاقيا اضرت بالهوية الانسانية دينيا واخلاقيا،اما على المستوى الثاني

من النقد يتعلق بنقد واقع التقليد في الثقافة العربية الناتج عن تقليد العلمانين من ابناء الامة العربية الاسلامية للحداثة الغربية،بحيث اسس طه عبد الرحمن في هدا السياق نطريته الفلسفية الائتمانية على مجموعة من المبادئ والمسلمات في مجال التدوالي الاسلامي وعلى الاسس الاخلاقية للحداثة .

وتعد إشكالية المقدس الديني وعلاقته بالوضع الفلسفي والإنساني من أهم القضايا المطروحة في هدا الميدان حيث تتناولها المفكرون والفلاسفة بالمناقشة والتحليل من حيث اهمية المفاهيم الدينية في ظل هيمنة العقل وذلك منذ اللحظة الأنوراية التي منحت الأولوية للعقل في شتى ميادين الحياة، في حين افصت المقدس الديني من الرؤى الفكرية الفلسفية وصولا للفلسفة المعاصرة وفي هدا المسار يدرج الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن[1]* ضمن المشتغلين بالمسألة في سياق فلسفته الائتمانية، حيث عمد إلى تأسيس فكر وفلسفة يسعى من خلالها إلى ترسيخ لمشروع حداثي بأدوات تصورية وشروط معرفية مسقاة من الدين الإسلامي تكريسا لعقلانية دينية ومسؤولية إيمانية قائمة على أساس الائتمان الألهي واهميته في إعادة تأسيس مفاهيم معرفية وأخلاقية تعيد الأنسان المعنى الدي فقده خاصة في اللحظة الفكرية والإنسانية الراهنة تبرز عدة دوافع وأسباب لاختياري هذا الموضوع:

[1] *طه عبد الرحمن: مفكر مغربي، ولد سنة 1944 بالمدينة الجديدة بالمغرب، وفيها تلقى دراسته الابتدائية، ثم تابع دراسته الإعدادية بالدار البيضاء، ثم بجامعة محمد الخامس بالرباط حيث نال إجازة في الفلسفة، واستكمل دراسته بجامعة السوربون، حيث حصل على إجازة ثانية في الفلسفة ودكتوراه السلك الثالث عام 1972، برسالة في موضوع "الفلسفة واللغة"، ثم دكتوراه الدولة عام 1985 عن أطروحته رسالة الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه، درّس المنطق وفلسفة اللغة في جامعة محمد الخامس بالرباط منذ 1970 إلى حين تقاعده عام 2005، وهو عضو في الجمعية العالمية للدراسات الحجاجية، وعضو في المركز الأوروبي للحجاج، وهو رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين بالمغرب، حصل على جائزة المغرب للكتاب مرتين، ثم على جائزة الإسيسكو في الفكر الإسلامي. مجموعة من المؤلفين العرب، الفلسفة العربية المعاصرة، تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والايديولوجيا، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014، ط1، 626.

الأسباب الموضوعية والأسباب الذاتية:

ـــــ الأسباب الموضوعية:

لاختيار الموضوع تمثلت في تسليط الضوء على تحديد القيمة وإسهامات لمشروع طه عبد الرحمن لمعرفة امكانيته التجديدية لفكر العربي المعاصر

الأسباب الذاتية:

من الأسباب الذاتية تتعلق بالميل لدراسة حول فكر وفلسفة عبد الرحمن خاصة فيما يتعلق بمشروعه النقدي للحداثة الغربية، والبديل الائتماني الدي أسس عليه فكره وفلسفته.

وبناء على هذه الدوافع والأسباب تبرز إشكالية رئيسية يسعى البحث لمعالجتها وهي كيف أسس طه عبد الرحمن لمشروعه النقدي من خلال فلسفته الائتمانية؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية يتعين علينا تناول مجموعة من الأسئلة الفرعية:

فيما تمثلت أهم المرتكزات الأبستيمية والأخلاقية التي شملها النقد الطهائي للحداثة الغربية؟

ما مفهوم الفلسفة الائتمانية وفيما تجلت اهميتها؟

ماهي أهم المبادئ التي تأسست عليها الفلسفة الائتمانية؟

المنهج المعتمد في البحث:

وقد اعتمدنا في معالجة هذا البحث على المنهج التحليلي المناسب للنفاذ لماهية، وذلك من خلال تحليل آراء طه عبد الرحمن بالإضافة للوقوف على أهم الاستنتاجات الائتمانية حول الموضوع.

كما تمّت الاستعانة بالمنهج النقدي يتماشيا مع طبيعة الموضوع التطرق إليه بنقد طه عبد الرحمن لحداثة الغربية وأهم مخرجاتها وتأثيرها على صعيد الفكر والفلسفة وكدا الوضع الإنساني.

ولدراسة هذا الموضوع وضعت خطة من أجل الإجابة على إشكاليات البحث والفهم الأمثل لسيرورة وُضعت الدراسة مقسمة كالتالي: مقدمة، فصلين، وخاتمة.

تناولنا في المقدمة تعريفا بالموضوع، وذكرنا أهمية الموضوع وأسباب اختيار البحث والإشكالية التي تناولناها في البحث والمنهج المتبع الإجابة على الإشكالية، وخطة البحث، اهداف البحث وأخيرا صعوبات البحث.

الفصل الأول المعنون ب: فيتناول مشروع طه عبد الرحمن في نقد الحداثة قسمناه إلى ثلاثة مباحث تناول في المبحث الأول: الأسس الاخلاقية للحداثة الغربية والمبحث الثاني: نقد الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية وفي المبحث الثالث: مفهوم الفلسفة الائتمانية

أما الفصل الثاني بعنوان مبادئ التي تقوم عليها الفلسفة الائتمانية قسمناه إلى ثلاث مباحث المبحث الأول: مبدأ الأشهاد والمبحث الثاني: مبدأ الائتمان والمبحث الثالث: مبدأ التزكية

خاتمة وهي عبارة عن حوصلة هامة عن أهم النتائج والأحكام المتواصل إليها بعد تحليل الموضوع، وكذا الإجابة عن أهم الإشكالات التي طرحت في المقدمة فهرس الدراسة ومن ثم الملخص.

الأهداف البحث:

الهدف من هذه الدراسة إثبات راهنية الأسلام التجديد الثقافي والحضاري، واهمية مبادئه الإنسانية في تعزيز الحوار بين الثقافات، والتآخي بين الحضارات باعتباره إمكانا أخلاقيا

وحضاريا، وثقافيا عالميا كونيا، يغنينا عن استيراد أفكار الغرب المادية لحل إشكالات الأمة العربية الإسلامية والإنسانية جمعاء.

التأكيد على أن الارتقاء بالمجتمعات العربية الإسلامية يقوم أساسا على تجديد المفاهيم باعتبار أن الأزمات التي يتخبط فيها شباب العالم العربي الإسلامي أزمة مفاهيم، وتيه فكري وثقافي وشعور بالنقص، والدونية واحتقار الذات في مقابل تمجيد كل ما هو غربي، هدا التمجيد والتقديس للغرب هو سبب التعبية والتخلف، ونتيجة العبودية الطوعية لأفكار الغرب.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

استعننا بمجموعة من المصادر والمراجع، حيث تطرقنا إلى أهم المصادر طه عبد للفكر، طه عبد الرحمن، بؤس الدورانية، النقد أفقا الرحمن، الحوار عبد الرحمن كتاب طه مقاربة ثغور المرابطة عبد الرحمن، الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، وكتاب طه ميتافيزيقا تأسيس كانْت، الحالية ومن أهم المراجع إيمانويل الأمة لصراعات ائتمانية للكتاب، العامة المصرية الهيئة مكاوي، الغفار تر: عبد الأخلاق،
كتاب ألان تورين، نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر
بارو سبين وزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،
كتاب عبد الملك بومنجل، الإبداع في مواجهة الاتباع، قراءات في فكر طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان

صعوبات البحث:

أما عن أهم الصوبات التي لا يخلو منها أي بحث أكاديمي هو أن الموضوع واسع لدلك ركزنا فقط على إبراز ما تضمنته عناصر الخطة بالإضافة إلى تشعب فكر طه عبد الرحمن مما صعب مهمة الدراسة.

الفصل الأول: مشروع طه عبد الرحمن في نقد الحداثة

المبحث الأول: الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية

المبحث الثاني: نقد الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية

المبحث الثالث: مفهوم الفلسفة الائتمانية

يعد سؤال الحداثة من أهم الإشكالات التي انشغل بها الخطاب النقدي العربي المعاصر، بحيث تشكّلت في سياقه مفاهيم متباينة حسب المنطلقات الإيديولوجية للمفكرين العرب ما بين العودة إلى التراث والانفتاح على الحداثة الغربية والاستلهام من مرتكزاتها الفكرية، وقد انبثق *عنها* جدال إبستيمية حول مفهوم الحداثة الغربية ومنجزاتها.

فاهتم الفكر العربي بتفكيك مقولات العقل الغربي ومختلف الوسائل المنهجية والمعرفية التي تقوّم عليها، وذلك في سياق اشتغالاه النهضوية الرامية لولوج الحداثة على خطى المجتمعات الغربية وفي هذا السياق يبرز الطرح النقدي لمفهوم الحداثة لطه عبد الرحمن والتشكيل المنهجي والمعرفي الذي تأسس على طياته، خاصة في ظل النقد الأخلاقي الذي وسمت به طروحاته المختلفة للوعي الحداثي الغربي.

وهو ما سنوضحه من خلال عرضنا للأسس الأخلاقية للحداثة الغربية، وأهم الانتقادات التي وجهها طه عبد الرحمن لهاته الأخيرة، مع التعرّض لمفهوم الفلسفة الائتمانية بوصفها البديل الإبستيمي والأخلاقي للمرتكزات التي تقوم عليها الحداثة الغربية. ومن هذا السياق يمكننا طرح سؤالنا: ما هي أسس الحداثة الغربية؟

المبحث الأول: الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية

تعتبر الحداثة ثورة إبستيمية شهدتها أوروبا منذ القرن17، بوصفها رؤية جديدة للإنسان والعالم غيرت من تصوراته ومفاهيمه، في بروستراليكا تراتبية قلبت الأدوار ما بين عالم السماء والأرض، بعدما كانت المركزية للإله باتت الأولوية للإنسان بوصفه سيدا لنفسه وعلى العالم.

وهي مفهوم مشتق في اللفظ العربي من الفعل الثلاثي حدث، بمعنى وقع، والحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، واستحدث خبرا أي وجدت خبرا جديدا، ولحداثة نقيض القدم، وأحدث الله الشيء بمعنى كان أو وجد، والحدوثة مرادفة للحداثة.[1] وهذا ما يجعل الحداثة في الاصطلاح العربي مقرون بالتجديد.

بينما يعرّفها لالاند بأنّها "لفظ يستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في المساجلات الفلسفية والدينية، وذلك تحت معنى انفتاح وحرية فكرية"[2] ما يجعل الحداثة تفتح على العقل وانعتاق من مختلف القيود بغية التحرر.

أما اصطلاحا فهي تشكيل معرفي متعدد الدلالات والمجالات، يعرفها بودريار بوصفها صيغة مميزة للحضارة تعارض التقليد، وهي تعارض بذلك مختلف الثقافات السابقة والتقليدية[3] ما يجعل منها ثورة وتجديد في الأفكار والقيم والمفاهيم.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص31.

[2] أندريه لا لاند، الموسوعة الفلسفية، مج2، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، 2001، ط2، ص822.

[3] محمد برادة، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، العدد3 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984، ص12.

تقوّم الحداثة على عدة أسس ممثلة فيما يلي:

1-العقلانية: يوسم القول الحداثي بوصفه خطاب عقلاني باعتبار العقل هو حجر الأساس الذي بنيت عليه الحداثة وأقيمت على أساسه مختلف المعارف والعلوم، فأضحى ما يتعارض مع قواعد العقل ومبادئه يرمى به في هاوية النسيان. وهو الأمر الذي افتتح مع الكوجيتو الديكارتي الذي جعل من التفكير أساس الوجود وبوصلة كل المعارف التي يتقوم عليها الإنسان.

ومنه فإنّ الفكر الفلسفي تأسست حداثته بإعادة الاعتبار إلى العقل واستبعاد تجليات اللاعقل باعتباره منبع الفساد والتشويش، فالمجنون تهريج والأسطورة خرافة... فإنّ العقل مفتاح الحقيقة والأسطورة مخبأها وبالعقل يستطيع المرء أن يسيطر على ما تخفيه الأسطورة وأن يكشف وظائفها لكشف مقاصدها.[1] وهكذا فالحداثة تأطير للعقل كمرجعية معرفية وعلمية وتأسيس لعقلانية تتحدد بها مختلف العلاقات، وتتجلى في شتى المجالات. ونذكر منها كالتالي:

الفكر العلمي: وهي العقلنة التي تجاوزت الاعتقادات الدينية التي هيمنت على المشهد الفكري الاعتقادات الدينية، بالاستعانة بالعقل البرهاني والتجريب، ما أعطى المركزية للمعرفة العلمية، ومنح الأولوية النموذج الرياضي كمقياس لمنهجية التفكير[2].

[1] فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1992، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص29

السياسة: وهي عملية العقلنة التي ظهرت مع طروحات ميكيا فلي (Machiavel li1469-1527) *، بفضل التفكير الميتافيزيقي عن العمل السياسي باعتماد العقلانية بديلا عن المبادئ الديني، إذ أحدثت قطيعة إبستيمية معها، وأصبحت سلطة خارجة عنها لها قواعد علمية ثابتة.[1]

الأخلاق:

وهو ما تجلّى في اهتمامات فلاسفة الحداثة باعتبارهم العقل هو أساس ومنبع القيم الأخلاقية، ففي هذا المجال بيّن ديكارت وهو أبو الفلسفة الحديثة الطرق التي تؤدي بالعقل إلى بلوغ الحقيقة في كل بحث أخلاقي، يسعى للوصول إلى الحكمة، التي هي غاية الفلسفة، وذلك بتدبير الأفكار بغرض نيل السعادة بأمثل السبل وأوثقها بما يوافق العقل.

وقد ذهب سبينوزا إلى عقلنة الأخلاق وهو المجال الذي تجلّت فيه ثوريته، فيعتبر الأخلاق معرفة نظرية شأنها شأن العلم العقلي بوجه عام، والعلم ذاته له طابع أخلاقي[2]، في تجاوز لحواجز المثال والواقع بين ما هو فعلي ونظري، بتخطي فكرة الخير المطلق وعالم الغايات الذي ارتكزت عليه الأخلاق المثالية.

كما تقوّم فلسفة الأخلاق عند كأنط على العقل بوصفه مصدر الإلزام الخلقي، فيقول "**إن** كل إنسان لا بدّ أن يسلم بالقانون الأخلاقي؛ أعني قاعدة الإلزام ... هذه القاعدة لا ينبغي

---

[1] فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، ص30.

[2] فؤاد زكريا، اسبينوزا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1983، ص196-197.

* ميكيافلي (Machiavel li1469 -1527) ولد وتوفي في فلورنسا ونهل من فنون السياسة في سن مبكرة لاقترابه من الامراء أسدا بين الذئاب وثعلبا بين الأسود (محمد نبيل الشيمي، ميكيا فللي هل مزال حيا، مجلة الجوار المتمدن، العدد 2483-2008).

أن تلتمس في طبيعة الإنسان ولا في ظروف العالم الذي وُضع فيه، بل لا بدّ من البحث عنها بطريقة قبلية في تصورات العقل الخالص وحدها"[1]، علما أنّ المبدأ الذي يشكل الركيزة الأساسية للسلوك الأخلاقي هي الإرادة الخيرة.

2-الذاتية:

تعد الذاتية من أهم مبادئ الحداثة الراسخة بوصفها المركز الذي تنسب إليه كل حقيقة ويقين[2]، تعبر في حقيقتها عن استعادة الإنسان لثقته بنفسه من خلال إعطائه حقه ومسؤوليته باعتباره ذات مستقلة متحررة من كل القيود.

ومنه أضحى الإنسان مقياسا لكل شيء وسيدا على ذاته وكذا الطبيعة، متحررا من ظلامية العصور الوسطى، التي قيدت حريته التي سلبتها التبعية لرجال الدين والكنيسة، ما يجعل من الحداثة اكتشاف للذات وتخلص من كل سيطرة وهيمنة على حكم الذات.

" فهي زوال للسحر عن العالم، وانفراط للصلة بين الإله والطبيعة، بين المعرفة الموضوعية والذاتية، فبقدر ما ندخل إلى الحداثة بقدر ما تنفصل الذات عن الموضوعات في حين إنهما كانا يختلطان في الرؤى ما قبل الحداثة"[3] وهكذا فالحداثة تحرر للذات من كل القيود واستعادة لسيادتها، وانعتاق للعقل من جموده وانفلاته من الفكر الكنسي، تأسيسا لفكر حر مستقل قائم على الوعي بالذات.

---

[1] إيمانويل كانْت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 م، ص8.

[2] محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ط1، ص65.

[3] ألان تورين، نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،1997، ص272.

3-الحرية:

تعتبر الحرية من أهم ركائز المرحلة الحداثية، تقوم على أساس حرية الفرد، والإنسان الحر هو الذي لا يكون عبدا أو سجينا، والحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده آخر سواه، أي غياب الإكراه الخارجي"[1]، وهو شعار التنوير الذي رفعه كأنط الذي اعتبر الإنسان كائن حر قادر على التشريع لنفسه بعقله، دون سلطة خارجية، في تأصيل لمفهوم الإرادة الإنسانية الحرة، التي تسعى لتجاوز القيود التقليدية التي كبتت الحريات باسم الدين.

وتعتبر السياسية من أهم المجالات التي تبرز فيها مسألة الحرية بوصفها الوعي الذي تفتضيه الممارسة السياسية، وهي من أهم مخرجات الحداثة التي جعلت من الحرية غاية الغايات، فنجد سبينوزا (BenedictusdeSpinoza1632-1677) * مثلا في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة "أنّ الغاية من قيام الدولة هي الحرية"[2] فيها يمارس الفرد حريته ويعتنق إنسانيته بدون أي وصايا من الدولة.

كما تجلّت في الممارسات الديمقراطية من حيث كونها وعي بالحرية وللحرية، للأفراد وحتى المؤسسات والتنظيمات التي تنفعل وتتفاعل معها، وتتطور عبر الأجيال في سيرورة معبرة عن المشروع الحداثي وجوهرية مخرجاته.

---

[1] أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ص727.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2005، ط1، ص437.

*سبينوزا (Benedictus Spinoza de 1632 -1677) هو فيلسوف هولندي من أصل يهودي برتغالي، يعتبر سبينوزا أحد أعظم الفلاسفة في القرن السابع عشر ومؤسس الفلسفة الحديثة، علمه الأكثر شهرة هو الأخلاق

المبحث الثاني: نقد الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية

يعد نقد الحداثة الغربية انشغال اهتم به الفلاسفة والمفكرين على اختلاف منطلقاتهم، وقد تعدت المسألة إلى المفكرين العرب الذين جعلوها محل تحليل ومناقشة ما بين التبني والإنكار نذكر، منهم المفكر المغربي طه عبد الرحمن الذي عمد إلى مراجعة نقدية لمفهوم الحداثة وأسسها وقيمها، وإن تباينت التصورات حولها ما بين اعتبارها **إما** نهوض بأسباب التقدم والتحرر، أو ممارسة السيادة على الطبيعة والمجتمع والذات، أو قطع الصلة بالتراث وطلب الجديد أو أنها محو القداسة من العالم، أو التعقيل والعقلنة أوقطع الصلة بالدين، أو مشروع لم يكتمل بعد.

فإنّ طه عبد الرحمن يجعلها مرادفة " للإبداع الذي يعني الابتكار والاجتهاد والاختراع"[1] ورفض لكل قديم تنبثق من عمق المجتمع، ويجدر القول بأنّ الأخير تعرّض لها بوصفها مساءلة أخلاقية تأسيسا لحداثة إسلامية، متجنبا تقليد نمط التفكير الحداثي في سياقه الغربي، مغيرا وجهة الجدل الفكري الحاصل في الثقافة العربية من جدل الحضارة الإسلامية-الحضارة الغربية والشرق-الغرب والإسلام-الحداثة إلى جدل الاستقلال-التبعية والإبداع-التقليد والتحضر-التخلف[2].

[1] طه عبد الرحمن، روح الحداثة وحق الإبداع، مجلة النور الجديد، عدد151 ، دجنبر2003 ، ص63

[2] عبد الملك بومنجل، الإبداع في مواجهة الاتباع، قراءات في فكر طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2017، ط1، ص.68

وقد انطلق طه عبد الرحمن من مبدأ العقلانية التي ارتبطت بها الفلسفة منذ نشأتها فأضحى غيابها غياب للتفكير والفكر، أو كما اصطلح عليها بالتجريدية بوصفها تفضيل للإنسان على الوحي، ما يجعلها تتنافى مع الرسالة الدينية، وتجريدتها تتمثل في ذات الإشغال بالعقل الإنساني دون الاشتغال بالوحي الإلهي[1]. ويستطرد طه عبد الرحمن في تحليلاته ليجعل العقلانية تابعة للأخلاقية لأنّها الأفق الذي يميز بين الإنسان والبهيمة، نظرا إلى أن هذه الأخيرة لا تسعى إلى الصلاح في سلوكها إلى رزقها بالاستعانة بالعقل، ولأنّ الأخلاقية هي الأصل الذي تتفرع عليه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك. لتصبح الهوية الإنسانية ملازمة للأخلاقية أكثر منها للعقلانية.

وفي هذا السياق ينتهي إلى "أنّ الحضارة الحديثة، من حيث كونها حضارة عقل، هي حضارة ناقصة؛ ومن حيث كونها حضارة قول هي حضارة طاعة، لذلك وجب إكمال النقص، ودفع الظلم عن طريق الممارسة الأخلاقية ذات الأصل الديني في أعلى مراتبه"[2]. فمن حيث كونها أحادية الجانب نظرا لاختزالها في العقلانية فإنّ اكتمالها يكون بإعادة النظر إلى الاعتبار الأخلاقي.

ونظرا لطغيان القول منذ الاصطلاح الاغريقي للإنسان بأنّه حيوان ناطق، فيها واهمال الفعل فإنّه قد نتج عنها ثلاثة آفات:

---

[1] طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013، ط1، ص97-98.

[2] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2000، ط1، ص61.

- آفة التضىىق: باتساع رقعة القول في المعرفة ما أدى لتضييق مساحة الأخلاق، بطغيان العقل والفعل على الأخلاق، بانحسار"...الأخلاق على البرهان الرياضي المنطقي والسلطان العلمي معا، وهما على ما هما عليه من احتواء لأطراف العقل ولجوانب الحىاة من الوجود الإنساني، فلم ىبق للأخلاق إلا ما لىس بذي صحة ولا ذي قوة من هذا الوجود"[1]، ومنه فإنّ سمو القول أدى لتهميش الأخلاقي.

- آفة التجميد: من حيث أنّ حضارة القول جمدت الأخلاق ومنعتها من سيرورتها، فحجمتها لتتغير من أخلاق الجماعة إلى أخلاق الفرد.

-آفة التنقيص: فطغيان القول حسب طه عبد الرحمن قد جرف في طرىقه الفعل "كما أدى هذا الفىض اللفظي في الأقوال إلى الاعتقاد بأن القول السياسي هو أحق بتذكرة الشعور ونفخ الروح في الإرادة، ومعلوم أنه لىس في الأقوال قول ىعارض الفعل الخلقي معارضة القول السياسي له ولا أضرّ به منه"[2] **ذلك أن القول السياسي همش القول الأخلاقي وحط من قيمته، تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة.**

لنتقل طه عبد الرحمن لمبدأ الدنيوية يقصد به العلمانية من حيث هي تركيز على الدنيا دون الاهتمام بالآخرة، وتتجلى أماراتها في فصل الدين عن الدولة والعلم عن الأخلاق والاحتكام إلى قوانين العقل المجرد، ويقول بهذا الصدد" فاهتمام الإنسان بالآخرة لىس خروجا عن الاهتمام بالدنيا، بل اهتمامه بالآخرة هو وسىلة للرجوع إلى الدنيا والاهتمام

[1] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مصدر سابق، ص78.

[2] المصدر نفسه، ص79.

بها بأفضل مما يهتم بها الإنسان لو أنه ترك الاهتمام بالآخرة"[1] ما يعني أنّ الاهتمام بالآخرة هي أحد سبل الصلاح في الدنيا، وكذا تحقيق للتوازن تحتاجه الروح ليستقيم حالها في عالم المعيش.

ويعتبر أنّ فصل العلم عن الأخلاق كان قائما على مبدأين، مبدأ الموضوعية الجامدة أي فصل الذات عن الموضوع المدروس، ومبدأ التساهل المسيب وهو المبدأ المبني على المنطق والرفض للأخلاق، فيقول" تمييزا له عن مبدأ ثان يأخذ بتساهل" غير مسيب "أو قل موجه، إذ يقصد إلى أن يشرك الجانب العلمي مع الجانب النظري في تركيب النسق المنطقي أو النظرية العلمية"، وكأن العلم قد احتل الصدارة عن طريق التضليل بمبدأين كالموضوعة والتساهل تسببا في هدم الأخلاق.

وهكذا يمكن القول بأنّ الانزلاقات التي وقعت فيها الحداثة نتاج تخليها عن السؤال الأخلاقي الذي يسبر أغوار النفس الإنسانية وتمسكها بالأخلاق التي تجعل من المادة مركزا لها، وهي الإشكال الذي حمل بغيابه بذور فناء الحداثة وتجاوزها من خلال محاولات سعت لتقويمها، ويعد المشروع النقدي لطه عبد الرحمن أحد هذه المحاولات، إذ شنّ حربا ضد العقل الحداثي الغربي باعتباره انتهاك لحرمة الدين وقداسته ومس

[1] طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، ص98-99.

بالمنظومة القيمية والأخلاقية، وهو القائل: "الأمة أحوج إلى البدء بتجديد الإنسان منها في تشديد العمران"[1]

المبحث الثالث: مفهوم الفلسفة الائتمانية

تعتبر الفلسفة الائتمانية لطه عبد الرحمن إحدى المحاولات الرامية لتجاوز الانسداد الأخلاقي التي وصلت إليه الحداثة وما تأتى عنها في المرحلة المعاصرة من آفات أدت بالإنسان للفوضى والتيه، خاصة بعد اخفاق المشاريع النقدية في تجاوز أزمات الإنسان.

ويذهب طه عبد الرحمن في تعريفها بأنّها "عبارة عن نظرية أخلاقية تتأسس على حقائق الإنسان التي اشتركت فيها الأديان وتتوارثها الحضارات، سواء أقرت هذه الحضارات

[1] **طه عبد** الرحمن، سؤال العمل –بحث عن الأول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 2012، ط1، ص 83

بأصولها الدينية أو أنكرت هذه الأصول"[1] ما يحيلنا إلى أنّ الانشغال الأخلاقي هو الذي استحوذ على اهتمام طه عبد الرحمن وفلسفته الائتمانية، من خلال حقائق الدين المتنوعة، خاصة الدين الإسلامي بوصفه أتم الديانات وخاتمتها.

وأولى الحقائق التي تنطلق منها الائتمانية أنّ الإنسان مؤتمن من قبل الله تعالى على كل ما خلقه له، أي أنّه حامل للأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين حملها وقد فعل الإنسان باختياره[2]، ما يعني أنّ وجوده ليس عبثي لا ينحصر في اشباع غرائزه مثل البهائم، وإنّما أن يكون حفظ ورعاية للأمانة التي حملها بنفسه واختياره، فاستودعها الخالق لديه.

ومنه فإنّ الائتمان "عبارة عن إيداع رعاية، بحيث يكون كل ما خلق الله، جل جلال ه، من أجل الإنسان هو عبارة عن ودائع أودعها إياه، يمتلكها كيف يشاء، ويتحقق بها كيف يشاء، شريطة أن يصون حقوقها"[3] وذلك في فعل روحي يتقوّم على تقديم واجب على الحق، من حيث حفظ صاحبه لواجباته التي حددها المولى إليه.

والائتمانية هي الأمانة بوصفها أصل الوحدة بين التعبد والتدبي، بين الواقع والغيب، والوصل بين الدين ومختلف مجالات الحياة، إذ تقول بوجود أصل واحد لا ثاني له هو الأمانة، التي قد نسميها التدبير التعبدي "أو نسميها، اختصارا، التعبد أو التدبير أو، إن

[1] طه عبد الرحمن، ثغور المرابطة :مقاربة ائتمانية لصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب، الدار البيضاء المغرب، 2018، ط1، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص194.

[3] طه عبد الرحمن، روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2012، ط2، ص474

شئت قلتَ، إن الأمانة حقيقة واحدة لها وجهان يختلفان باختلاف النظرة إليها؛ فإن نظرنا إليها من جهة تعلُّقها بالعالم الغيبي سمَّيناها تعبُّدا؛ وإن نظرنا إليها من جهة تعلُّقها بالعالم المرئي سميناها تدبيرا؛ فكل هذه الأسماء إذن تُعدُّ، بحسب هذه الدعوى الثالثة، ألفاظا مترادفة"[1]، وبل يعتبرها طه عبد الرحمن هي حراسة الدين بالدين والسياسة بالدين، من حيث أنّه يؤسس العالم على الدين وما يتوفر من قيم أخلاقية سامية.

وطه عبد الرحمن في تعريفه للائتمانية كتدبير تعبدي، الأصل فيه هو مخلوقيه وعبودية الإنسان لله، فإنّه جعل بمقتضى ذلك، التعبد لله كغاية، والأصل في الدين هو التعبد للحق سبحانه، ما يجعل من الوجود الإنساني الأصل في وصل الأخلاق بالدين الروحي بالعكوف على العمل التزكوي، حتى يتسع نطاق الوجود الإنساني، علما بأن الإنسان بين خيارين تعبّديين :إمّا أن يتعبد لله، فيتسع وجوده، وإما أن يتعبّد لغيره، فيضيق وجوده؛ وهو أيضا بين خيارين تدبيريين :إما أن يتخذ تدبيرا دينيا، متعبّدا للحق، أو يتخذ تدبيرا سياسيا، متسيّدا على الخلق[2]. وفي هذا الطرح تعبير عن أولوية التقدم الأخلاقي على التقدم المادي، من خلال إصلاح علاقة الإنسان بربه روحيا، نظرا لأنّها الأصل في التدبير.

وهكذا يكون التأليف الائتماني بين الأخلاق والدين، والتدبير والتعبد جمعا للوحدة الأولى في العالم الغيبي، ممثلة في الأمانة التي تحمَّلها الإنسان باختيار منه تزكية للروح المفطورة على الأخلاق المؤيدة دينيا.

---

[1] المصدر نفسه، ص449.

[2] طه عبد الرحمن، روح الدين، ص 448

ومن المنطلقات الأساسية للائتمانية كتدبير تعبدي أنّها تتأسس على حرية الإرادة في الاختيار باعتبارها فطرة إنسانية وحق طبيعي، لاستيفاء مقتضيات أداء الخلافة، وهذه الحرية الدينية من موجبات الخلافة، ومن أسس البناء الحضاري. ويمتاز هذا الاختيار بخاصيتين هما:

أ-الاختيار والخيرية:

يرتبط فعل الاختيار بالخير ارتباطا وثيقا، من حيث أن التكليف الإنساني ملازمة لاختيارات العمل الديني تأتي بالخير من جهتين هما: الجهة البشرية نظرا لأنّ المؤمن يختار الامتثال للأوامر المنزلة لأن عقله الموسع يقيم له الدليل القاطع على أن هذه الأوامر الشرعية أصلح لحياته المرئية من القوانين الوضعية، تسمو بأخلاقه وأنفع لحياته أنفع لحياته الغيبية التي يسقطها واضعوا هذه القوانين من اعتبارهم، إذ أنها ترتقي بروحانيته بما لا يخطر على بال هؤلاء الواضعين[1].

أما الجانب الثاني فيتعلّق بمطلقيه الذات الإلهية فيتبين أن أوامره تعالى لابد أن تجلب للإنسانية من أسباب الخير وموارد المصلحة ما يعجز عنه أعقل عقلاء البشر وأكثرهم علما، ما يضاهيها خيرا وصلاحا، فيما يسطرون من قوانين، لما وجدوا إلى ذلك سبيلا، حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.[2]

ب-الاختيار والمسؤولية:

[1] طه عبد الرحمن، روح الدين، ص452.

[2] المصدر نفسه، ص453.

بما بأنّ الإنسان مفطور على حرية الاختيار، فإن هناك تلازم بين الأمانة والمسؤولية فضلا عن الاختيار، الذي يستلزم بدوره الخير الذي يُتوصَّل إليه بالعقل، كما يستلزم تحصيل الشعور بالمسؤولية التكليف الذي يفترض أخلاقية المسؤولية، لارتباطها بعهد حمل الأمانة،

ووجود الاستطاعة يجعل المكلَّف، حتما، مسؤولا عن اختياره؛ فقد يختار أن يفعل ما كُلّف به أو يختار أن يتركه، بحيث يصير مستحقا للجزاء، ثوابا أو عقابا، سواء في العالم المرئي أو في العالم الغيبي[1].

ومنه فإنّ المسؤولية الأخلاقية دعامة أساسية للائتمانية، وجوهر الخلافة فلا يقوم الإنسان بمهمته كاملة دون مسؤولية التعامل مع الموجودات، ومن منطلق المسؤولية فإن العقل والضمير المسلم لا يقبل إلا أن تكون العلاقة مع الكون أخلاقية لتحقيق الأمانة كما جبل عليها الفرد الإنساني.

كما ترتكز الفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن على ركنين مهمين هما:

1-ركن الايداع الرعائي:

يتعلق بتجديد علاقة الإنسان بالله على وفق الأخلاق الروحية، يعتبر أنّ الموجودات عبارة عن ودائع أودعها إياه، يتصرف فيها حسب مشيئته شرط صيانة حقوقها[2]، ما يجعل من الائتمان علاقة بين ذات مطلقة أي الله وهو المالك المطلق للأشياء، وذات نسبيّة محدودة

[1] المصدر نفسه.

[2] طه عبد الرحمن، روح الدين، ص474.

هي الإنسان، كمالك نسبي للأشياء، فتكون علاقة الإنسان بالعالم علاقة روحية، أفقها الله، تجعل من الائتمان الرعائي كعلاقة بين الإنسان والأشياء بوساطة إلهية تكريم إلهي والإيداع الإلهي إيداع رعاية، تكريما للمودَع لديه تذكيرا للإنسان بحدوده ومحدوديته، باعتباره الكائن النسبي في مقابل الله المطلق، وبناءً على ذلك تفضل القوانين الإلهية المطلقة القوانين الوضعية النسبية.

2الاتصال الروحي:

يعتبر الاتصال الروحي تزكية للنفس، بالاتصال بالله روحيا بتطهير الباطن، فلا يتعلق الإنسان إلا بالله، بجعل الأخلاق الروحية أساس التعامل بين الناس، و"الائتمان عبارة عن اتصال حب التّملك، ويوسّع الوجود الإنساني في العالم الدنيوي روحي ينبني فيه التخلق الخارجي على التخلق الداخلي جاعلا ظاهر الصلة بالإنسان يزدوج بباطن الصلة بالله، كما ينبني فيه التكليف الوجودي على التكليف الشهودي، جاعلا حق الاختيار يزدوج بواجب الاضطرار"[1]

ما يعني أنّ الإنسان متدين اختيارا في العالم المادي واضطرارا في العالم الغيبي، بمعنى أن الائتماني المختار، على خلاف المختار غير الائتماني، يمارس نشاطه الاختياري على«

طبقتين اثنتين :وجودية يسري فيها بعقله المسدَّد، فيختار أفعاله بمحض إرادته، متحملا تبعاتها كما يفعل المختار غير الائتماني، وهو يجول في هذه الطبقة بعقله المُجرّد، سواء

[1] طه عبد الرحمن، روح الدين، ص476

بسواء؛ فالأصل في طبقة الوجود هو الاختيار؛ أما في طبقة الشهود التي يعرج فيها الائتماني المختار بعقله المؤيّد – أي بروحه – فإنه يتحقق بالاضطرار في هذه الأفعال، لا لأنه محل لجريان سابق الاختيار الإلهي فحسب، ولأنه لا يملك لنفسه أن يختار بغير أن يكون مضطرا إلى الاختيار، تعبُّدا لله الذي خيَّره؛ فالاضطرار هو الأصل في طبقة الشهود[1]

وهكذا ننتهي إلى أنّ الائتمانية هي انتقال بالإنسان إلى سعة الوجود بفعل التعبد لله، فتخليق الإنسان لباطنه من خلال التعبد بوصفه روح الدين، هو أساس الانتقال من الامتلاك للوجود إلى رعاية الوجود، والانتقال من تأليه الذات إلى التعبد لله، من جهة مضيفا نفسه، ذاتا وأفعالا وأوصافا، ومتى خلصت عبديته لله، استطاع هذا الائتماني أن يتحرر، فالائتمان هو إقامة علاقة أخلاقية روحية بين الإنسان وذاته، بموجب أن الائتمانية هي ذاته ومع الوجود عن الألوهية مبدأ ومقصدا.

[1] المصدر نفسه، ص481.

الفصل الثاني: المبادئ الفلسفة الائتمانية

المبحث الأول: مبدأ الإشهاد

المبحث الثاني: مبدأ الائتمان

المبحث الثالث: مبدأ التزكية

يُمثّل مفهوم الائتمان المنطلق الفكري لطه عبد الرحمن في مناقشة القضايا الفلسفية، وتحليل النظريات الأخلاقية، فيذهب إلى أنّ المأزق الوجودي الذي وقع فيه الإنسان المعاصر نتاج خيانته للأمانة في مختلف أنماطه المعيشية نتاج هيمنة العقل على تصوراته ومفاهيمه فأنسته ماهيته ووجوده.

وانطلاقا من هذا النسيان الوجودي والمعرفي فإنّ طه عبد الرحمن اعتمد الفلسفة الائتمانية بوصفها نسق من المبادئ الروحية، التي تعمد لتذكير الإنسان بالمسؤولية التي وجب عليه تحملها، وبوظيفته الائتمانية التي وجب عليه التصرف وفقها، ليستعيد فطرته وجبلته الأولى التي طمست في عالم المادة.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح التساؤل الآتي: فيما تمثلت مبادئ الفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن؟

المبحث الأول: مبدأ الإشهاد

يتعلق هذا المبدأ بالإيمان واليقين، وإقرار الإنسانية بحقيقة بوجود الله، في" شهادة بربوبية الخالق، اقرار عن خطاب تلقته عن قرب واتصال، إقرارا عن عيان"[1] في أول ميثاق حفظته الروح في عالم الغيب، فهي شهادة الإنسان بألوهية الله وبوحدانية في العالم الغيبي، بأن لا إله إلا الله.

وقد استحضر طه عبد الرحمن صريح المتن القرآني، في قوله تعالى: {{**وإذ** أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين}}، أين أقرّ الإنسان بألوهية الله وربوبيته في حقيقة إيمانية فطرية غير قابلة للتشكيك.

ويعتبر طه عبد الرحمن أنّ هذه الحقيقة لا تتعارض مع العقل، الذي يعرف الحقائق الإيمانية، نظرا للتّسليم القلبي اليقيني بالإيمان، فلا إيمان في غياب اليقين العقلاني للوجود وهو المبدأ الأول للعقل ولا يمكن أن يكون غير منطقي أو لا عقلاني، والا كان متناقضا مع نفسه؛ فالإيمان ه المبدأ العقلاني الأول، يعتبر انكاره تعبير عن الانحطاط عن التفكير الإنساني الصحيح.

[1] طه عبد الرحمن، دين الحياء من الفقه الإئتماري إلى الفقه الائتماني، أصول النظر الائتماني، ج1، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت لبنان، 2017، ط1. ص48.

والجدير بالذكر أنّ طه عبد الرحمن يقابل بين العقل والإيمان في مبدأ الشهادة، بين مبدأ الهوية المجردة الذي ينص بأن أ هو أ ومبدأ الهوية الائتمانية المزدوجة التي تنبني على الغيرية، نظرا لأنّها تحفظ ما لا يُحفظ منه بدونها كعبادة الذات أو اتباع الهوى؛ وإذا كان هذا فضل غيرية المخلوقات، فما الظن بغيرية الخالق فيقينا أن أفضالها ليست لها نهاية تقف عندها.[1]

وفي هذا السياق يستطرد طه عبد الرحمن في تحليلاته إلى أنّ العقلانية في طروحاتها اعتمدت على العقل المجرّد لتحديد ماهية الأشياء تكريسا لمركزية الأنا في تحديد القرار، وهو ما فنده طه باعتبار الهوية تتحدد بشهادة الغير عليها سواء كانت إنسانية أو إلهية، ومنه فقد منح الأولوية لمبدأ الإشهاد في التحديد الهويات تذكيرا بضرورة الغير.

إذّ أنّ مبدأ الشهادة " يقضي بأنّ الشيء هو متى شهد عليه غيره، وهذه الشهادة ليست واحدة، وإنما متعددة؛ فهناك شهادة الإله، وشهادة الرسول، وشهادة الإنسان القريب، وهو الذي ينتمي إلى نفس الدين، وشهادة الإنسان البعيد، وهو الذي ينتمي إلى دين آخر، وشهادة أطراف الإنسان وشهادة الكائنات الأخرى، لأنّ كل الموجودات، في العالم الائتماني، تتمتع بحق الشهادة"[2].

---

[1] سمير فريدي، المرتكزات المنهجية للفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن، مجلة مقاربات فلسفية المج 1، ال عدد1، 2020، ص78

[2] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، **النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ط1، ص15.**

وهو نوع من التجديد في الفكر الطهائي لمفهوم الغيرية مقيما عليه تصوره الأخلاقي، والعلاقة بين الذاتية لتكون علاقة أخلاقية تعاملية وفق القيم الأخلاقية والتوجه للخالق، من حيث أن الشّهادة الإيمانية بوحدانية الله تشكل أساسا للفلسفة الأخلاقية وسبيلا للوجود الإنساني في إطار العيش المشترك، لأن الغيرية الأخلاقية مؤسّسة على المساواة بين جميع المخلوقات، واتحادهم في الأصل بموجب فطرتهم على التوحيد.

وفي النهاية يمكن القول أنّ مبدأ الشهادة هو تكريس وتأطير للحقيقة الإيمانية التأكيدية للألوهية والمسؤولية الناتجة عنها، بوصفها تحديد للهوية الوجودية للإنسان المؤمن المتعبد لربه وخالقه.

المبحث الثاني: مبدأ الائتمان

يجعل هذا المبدأ الإنسان ينظر إلى الموجودات باعتبارها أمانات مودعة لديه، وليست أملاك للتصرف فيها كما يشاء، وإلا سيوسم بوصفه خائنا للأمانة، إذ يقوم على تقريرها بمختلف وجوهها.

فتجعل الإنسان يتجرد من روح التملك، متحملا مسؤولياته التي يحددها كمال عقله، ابتداء بالمسؤولية عن الأفعال وانتهاء بالمسؤولية عن المسؤولية، مرورا بالمسؤولية عن الذات والمسؤولية عن سواهم من الكائنات الحية والمسؤولية عن الأشياء، بل المسؤولية عن العالم، لأنّ كل الموجودات، في العالم الائتماني، عبارة عن أمانات لدى الإنسان.[1]

وقد حملها الإنسان وأخذ منه الميثاق بذلك، وهو ما تجلّى في قوله تعالى: {{إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنّه كان ظلوما جهولا}} [2]

ولتوضيح مبدأ الإئتمان فقد استعرض طه عبد الرحمن مشهد عرض الأمانة على السماوات والجبال والأرض، فأبين أن يحملها لثقل المهمة وما ينتج عنها من تبعات، وقد حملها الإنسان فكانت إيداعا واستيداعا عند الإنسان للحفاظ عليها ورعايتها.

[1] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص15

[2] سورة الأحزاب، الآية 72.

وإن تصرف فيها كما رغب وشاء على أن يعرف أهمية هذا التكليف والمسؤولية الكونية المتأتية عنها فيرعاها صونا للأمانة، وهو ما يجب على الإنسان المعاصر الذي خان الأمانة والوصايا فتنكر للإله والوحي وما يترتب عن الإيمان به، فوقع في غياهب النسيان وانحطت أخلاقه ووقع في المحظور.

وهكذا فإنّ الانشغال الطهائي للأمانة بوصفها تكليف ومسؤولية بمثابة تذكير وتطويرا لمفهوم العمل الديني، يتعلّق بالتعبد لله صيانة الأمانة المودعة، والإيمان بالله وتوحيده وفهم عمق المعاني التي أودعها في تشريعاته المقدسة.

فالأمانة هي العبادة التي يأتيها الإنسان باختياره ولا يدعي حيازتها لنفسه، كما تعتبر عبادة الله التي ينهض بها الإنسان في كل أعماله بإرادته، ولا ينسُب منها شيئا إلى ذاته.[1] فهي ميثاق عبادة للخالق ومسؤولية ناجمة عن خلافة الإنسان للأرض، وهي اختيار إيماني قلبي باطني لا تملك ذاتي تنهض بالإنسان ليؤسس واقعه ونفسه صلاحا له ولمحيطه وعالمه كله.

وفي هذا السياق يقابل طه عبد الرحمن مبدأ الإئتمان بعدم التناقض المجرد أو الاتساق الذي تأخذ به الفلسفة، إذ ينص هذا المبدأ بأنّ الشيء ونقيضه لا يجتمعان، لكنه يجعل مبدأ الأمانة يقيد هذا الأمر المجرد، ويقرنه بالمسؤولية، إذ يقول بأنّ "مبدأ الأمانة يقيد هذه القضية المجردة، إذ يقضي بأن الشيء ونقيضه لا يجتمعان متى كان العقل مسؤولا، بدءا

[1] طه عبد الرحمن، دين الحياء، ص51

من المسؤولية عن عدم الجمع بين الشيء ونقيضه، وانتهاء بالمسؤولية على نتائجه النظرية وآثاره العملية"[1]، فيعتبر أنّ الاتساق لا يرقى إلاّ في الفلسفة الائتمانية، لأنّ هذه الأخيرة يتقوّم ويتآلف فيها الاتساق بالمسؤولية، ووجودها في طي الاتساق خير من عدمها، لأنها تحفظ مما ليس يُحفظ منه بدونها كصناعة السلاح الفتاك أو تلويث البيئة، والعقل المسؤول يمنعه اتساقه عن أن ينتج ما قد يضر بالوجود، مُبرهنا على كماله، بينما غير المسؤول لا يمنعه اتساقه من ذلك، بل قد يجعله يعتبر إنتاج ما لا يضر وإنتاج ما يضر بمنزلة واحدة، بل قد يزين له إنتاج ما يضر، فيقدم عليه من غير تردد ولا تهيب[2]"

وهكذا الأمانة مسؤولية وجودية ومبدأ متحقق في سياق حياة النوع الإنساني، ترسيخا لخلافة الإنسان في الأرض إيداعا واستيداعا وصونا وحماية، بربط الاتساق بالمسؤولية تماما للأمانة كما حددها الحق تعالى.[3]

[1] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص16

[2] المصدر نفسه.

[3] سمير فريدي، المرتكزات المنهجية للفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن، مجلة مقاربات فلسفية المج 1، ال عدد1 ،2020 ص80

المبحث الثالث: مبدأ التزكية

يقوّم هذا المبدأ على التقرير بأنّ التزكية خيار ملزم يجعل الإنسان يجاهد نفسه للتحقق بالقيم المنزلة والمعاني الروحية، ارتضاءا للخالق وحفظا لأولوية الإنسان في الوجود، وتصديا لجديد التحديدات والأزمات في القيم الإنسانية داخل عالم يتغير بوتيرة سريعة[1]، لأنّ التزكية ليست مجرد تعبّد وإنما اجتهاد في التعبّد لله بالقدر الذي يتوصل به إلى تخليص الإنسان من مختلف أشكال الاستعباد، وذلك بالتربية وفق ما ينص عليه الدين.

يعتبر مبدأ التزّكية، حلقة الوصل بين مبدأي الشهادة والأمانة، لما يقتضيه من تزكية للإدراك البصري ارتقاءً إلى رتبة المعرفة بالغيب، وتطهير القلب بتجديد الإيمان والعبادة، فالتزّكية تربية تخلّق وتعبّد، لإصلاح الفطرة في حال ابتعدت عن حالتها الأولى. فحسب طه عبد الرحمن يمكن إصلاح هذه الفطرة، والعودة إلى الصورة الفطرية للدين الحافظة للعلاقة الروحية بين الله والإنسان، بإصلاح الاعتقاد، والأعمال التعبدية، والمنهج في ذلك هو التزكية الروحية.

كما يرقى بالإنسان إلى أعلى مراتب انفتاح العقل، محققا للحرية الفعلية، وعبره يصل إلى السعادة الحقيقة، لأنّ العمل التزكوي إصلاح ظاهر السلوك الفردي والجماعي، وهو عمل يدور في أعماق الإنسان، نافذا إلى الجذور المعلولة في نفسه، فيجتثها من أصلها، مستبدلاً مكانها بذوراً روحية لا تفتأ، بعد حسن الرعاية، أن تنشئ فضاء معرفيا في قلبه،

[1] طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، ص16.

بل إن العمل التزكوي لا ينفكُ يحوّل الإنسان، باطنا وظاهرا، حتى يقوى على حمل الأمانة الإلهية[1].

ما يعني أنّها سمو وارتقاء تقربا لله، وهو المبدأ الذي استشهد عليه طه من قوله تعالى: {{كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون}}.[2] والغرض منه الاستدلال على أن الدين هو الذي يحقق التوازن الوجودي والأمن النفسي، لشموليته وعدم تعارض المادي والروحي فيه، ومن ثم، أفضليته على القوانين الوضعية. ويذهب طه عبد الرحمن في تحليلاته إلى أنّ التزّكية مبدأ مجابه لمبدأ الثالث المرفوع فالتزكية تكون باختيار العمل الذي يرتقي بالنفس، في مقابل تجريدها فإذا كان مبدأ الثالث المرفوع يقضي بأن الشيء إما هو وإما هي، فإن مبدأ التزكية يقيد هذه القضية المجردة، إذ يقضي بأن الشيء إما هو وإما نقيضه، ومتى كان العمل مطلوبا، بدءا من الأعمال الخارجية أو ما يعرف بأعمال الجوارح، وانتهاء بالأعمال الداخلية أو ما يعرف بأعمال القلوب، وعلى هذا، فإن مبدأ التزكية يقضي، كما يقضي مبدأ الثالث المرفوع، بالأخذ بمقتضى البدل؛ إذ لا خيار للإنسان إلا بين أمرين :إما أن يأتي العمل الذي يزكي نفسه، خارجيا كان أو داخليا، وإما أن يأتي العمل الذي يدسيها، خارجيا كان أو داخليا، أو، باختصار تزكية أو تدسيه

[1] طه عبد الرحمن، سؤال العمل :بحث في الأصول العملية في الفكر والعلم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص161.

[2] سورة البقرة، الآية 151.

خاتمة

وأخير ومن خلال عرضنا لموضوع نقد الفلسفة الائتمانية عند طه عبد الرحمن الدي سعى إلى فتح آفاق جديدة في العالم العربي الإسلامي، ودلك من خلال رؤيته النقدية نستنتج ما يلي:

1. إن الحداثة الغربية أعطت مكانة مرموقة ومعتبرة للعقل والمنطق، بحيث اعتباره مرجعا لكل معرفة واستخدام العقل، والمنطق في التفكير واتخاذ القرارات، وعدم الاعتماد بشكل كامل على الدين أو الأخلاق.
2. الحداثة الغربية مشروع حضاريا يرفض كل ملامح التقليد على الحاضر من أجل لأحداث التحول والتغير في المجتمعات العربية الإسلامية.
3. يصل طه عبد الرحمن في فلسفته الائتمانية بين الفلسفة والدين، مؤسسا الفلسفة على حقائق الدين بوصفها إلهية مطلقة، فلا يجعل الدين خاضعا لها كما يفعل بعض دعاة العقلانية المجردة، وعليه فقد انتقد كل الفلسفات التي تتأسس على العقل المجرد من الدين لفهم الوجود، أو لبناء نظريات حول الإنسان، بمختلف أبعادهاالمنطقية والأخلاقية والفلسفية، كاشفا الستار عن عواقبها الخطيرة على النظر والعمل.
4. يستمد مبدأ الائتمان مرجعتيه من مفهوم الأمانة، ويتأسس على ركنين أساسيين، وهما :الإيداع الرعائي والاتصال الروحي، تنبني على مسؤولية تكليفية تتقوم على الأخلاق والعمل، سعيا لحفظ الأمانة التي تكلف بها الإنسان قصد بناء حكمة إسلامية.

5. تتأسس الفلسفة الائتمانية على ثلاثة مبادئ :مبدأ يحدد هوية الإنسان الوجودية وهو مبدأ الشهادة، ومبدأ يحدد مسؤوليته الكونية وهو مبدأ الأمانة، ثم مبدأ التزكية الذي يحدد فاعليته السلوكية.

رغم كل الانتقادات التي وجهت له في مشروعه الحضاري إلا أنه ارتقى في فضاء الفكر العربي المعاصر وخاصة في النظر في نقده لأسس الحضارة الغربية، لما من جدفي الطرح، وإبداع المفاهيم الخاصة به.

قائمة المصادر والمراجع

***المصادر:**

1. القرآن الكريم.

2. طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013، ط1.

3. طه عبد الرحمن، **بؤس الدهرانية**، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ط1.

4. طه عبد الرحمن، **ثغور المرابطة :مقاربة ائتمانية لصراعات الأمة الحالية**، منشورات مركز مغارب، الدار البيضاء المغرب، 2018، ط1.

5. طه عبد الرحمن، **دين الحياء من الفقه الإئتماري إلى الفقه الائتماني، أصول النظر الائتماني**، ج1، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت لبنان، 2017، ط1.

6. طه عبد الرحمن، **روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2012، ط2.

7. طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحضارة الغربية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2000، ط1.

8. طه عبد الرحمن، **سؤال العمل –بحث عن الأول العملية في الفكر والعلم**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 2012، ط1.

***المراجع:**

1. إيمانويل كانْت، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، تر: عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1980 .

2. ألان تورين، **نقد الحداثة**، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،1997.

3. باروخ سبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2005، ط1.

4. عبد الملك بومنجل، **الإبداع في مواجهة الاتباع، قراءات في فكر طه عبد الرحمن**، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، 2017، ط1.

5. فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1992.

6. فؤاد زكريا، **اسبينوزا**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1983.

7.مجموعة من المؤلفين العرب، **الفلسفة العربية المعاصرة، تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والايديولوجيا**، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014، ط1.

8. محمد سبيلا، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ط1.

***المعاجم والموسوعات:**

1. ابن منظور، **لسان العرب**، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1981.

أندريه لا لاند، **الموسوعة الفلسفية**، مج2، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، 2001، ط2.

***المجلات:**

1. طه عبد الرحمن، **روح الحداثة وحق الإبداع**، مجلة النور الجديد، عدد151 ، دجنبر 2003.

2. محمد برادة، **اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة**، مجلة فصول، العدد3 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984.

3.سمير فريدي **المرتكزات المنهجية للفلسفة الائتمانية** عند طه عبد الرحمن مجلة مقاربات فلسفية المج 1العدد1 2020

محتويات الفهرس:

المحتوى	الصفحة
الإهداء	/
الشكر	/
المقدمة	أ – ه
الفصل الأول: مشروع طه عبد الرحمن في نقد الحداثة	
المبحث الأول: الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية	10-1
المبحث الثاني: نقد الأسس الأخلاقية للحداثة الغربية	14-11
المبحث الثالث: مفهوم الفلسفة الائتمانية	20-15
الفصل الثاني: المبادئ الفلسفة الائتمانية	
المبحث الأول: مبدأ الإشهاد	25-21
المبحث الثاني: مبدأ الإئتمان	28-26
المبحث الثالث: مبدأ التزكية	31-29
خاتمة	35
قائمة المصادر والمراجع	38-37
فهرس المحتويات	39

ملخص الدراسة:

تَهدف هذه الدراسة التعريف الفلسفة الائتمانية هي مفهوم طوره المفكر المغربي طه عبد الرحمن وركز على العلاقة بين الأخلاق، والدين في الفكر الاسلامي تهدف الفلسفة الائتمانية الى تقديم بديل للفلسفات الحدثية والمعاصرة التي تنحو نحو العقلانية الصارمة والانفصال عن القيم الدينية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الائتمانية، الأخلاق، الدين، العقلانية

Study Summary: This study aims to define the fiduciary philosophy which is a concept developed by the Moroccan thinker Tasha Abdel Rahman،and focused on the relationship between morality and religion in Islamic thought. The fiduciary philosophy aims to provide an alternative to modernist and contemporary philosophies that tend toward strict rationalism and separation from religious values.

Keywords: credit philosophy،ethics، religion،rationality